كلية الآداب – قسم الفلسفة

مقرر فكر عربي معاصر

دراسات عليا

المحاضرة الثانية

عنوان المحاضرة: الفكر العربي تصنيفه وثوابته

2- الفكر العربي : تصنيفه وثوابته:

أن دراسة الفكر العربي أمر ممتع، إذ أنه تراث ضخم ممتد على خمسة عشر قرناً من حيث تاريخه، وهو في وضعه الراهن موزع على عدة أقطار متفاوتة من حيث النمو والأنظمة.

فلكي نتمكن من أعطاء لمحة عامة منه في ضوء هذه الدراسة، علينا أن نستخلص من جهة بعض ثوابته وبعض ثغراته، ومن جهة أخرى خطوط القوة فيه أي الاتجاهات المستقبلية .

وهذه العملية العامة تحتاج بادئ ذي بدء إلى تصنيف تخطيطي، ولكنه تقريبي تخطيطي لانه يتناول الاطر الكبر تقريبي لعدم توافر دراسات سيمضي زمن طويل قبل أن توضع . فنقطة الانطلاق يجب ان تكون الحاضر. أو بالأحرى المستقبل (اتجاه التطور) وعلى ضوئه أدرس الماضي بسرعة لأعود إلى المسائل الراهنة. واقتصد بالماضي ما قبل القرن الرابع عشر، أو ما قبل عصر الانحطاط.

وعلى هذا الشكل أقسم الفكر العربي إلى قسمين كبيرين : الماضي والحاضر وسوف أكرس لسورية العربية القسم الثاني من هذع الدراسة لاعتقادي بأن تجربة هذا القطر رائدة، وبوصفها كذلك تلقي ضوءاً ممتازاً على مجموع الوضع العربي،بحيث أن دراسة الفكر في سورية يمكن أن تنسحب على ما تبقى من الاقطار.

أ -الفكر الأول :

نحن أبناء الماضي البعيد، لا يزال حاضراً فينا نتمثل مبادئه وقيمه، عاداته وأخلاقيته من بيئتنا ومن دراستنا للتراث في المعاهد والمدارس. فعندما نقول

((أمة عربية واحدة)) لا نقصد من الخليج إلى المحيط وحسب، بل من فجر تاريخ أمتنا إلى أيامنا ومن أيامنا إلى ما شاء الله.

والفكر الأول – فكر الماضي –محصلة لأربعة تيارات تقاطعت في المجال العربي بعضها مع بعضها الاخر، تواجدت وتعايشت فألفت كلا متماسكاً لحد بعيد.

فألاول من الجاهلية وهو قومي خالص يرقى إلى قرون على ما يبدو، وقد تبلور في الشكل الذي وصل إلينا مع تبلور اللغة العربية ، وتكاملها،

فالشعر الجاهلي (وما تلاه وهو في مجموعه من وحي الشعر الجاهلي) سجل للأخلاقية وللخلق العربيين.

والثاني : ما يسمى بالشرق وهو مركب حضاري نشأ من تلاقح ثقافات كثيرة ما تزال لحد بعيد مجهولة منها الهندي والفارسي، ومنها ما تكون في شرق حوض البحر الابيض المتوسط وتبلور مع الافلوطينية المحدثة، وعبرعن ذاته عندنا في المذاهب والفرق الصوفية وأما الثالث فهو الاغريقي حصراً، واقصد به الفلسفة اليونانية بعامه والمنطق الارسطاطالي بخاصة والذي كون بتلاقحة مع الاسلام التراث العربي حصراً وكان على أساس نشوء العلم العربي بمختلف انواعه ومنه بشكل خاص علم الكلام وعلم اللغة..

4- وأخيراً الاسلام الذي ليس في الحقيقة تياراً من جملة تيارات أخرى، بل هو المبادئ والقيم والتشريعات التي، إذ صهرت ما قبلها وما تلاها أصبحت الاساس الأول الي قام عليه الفكرالعربي، ومن الواضح اني لا اعتبر الاسلام هنا من حيث هو دين، فهذا شأن آخر أنما من حيث هو ظاهرة حضارية وثقافية.

والواقع أن الفكر العربي وإن كان قد نشأ على خلفية جاهلية فهو بالدرجة الأولى نتاج التلاقح بين روحانية الاسلام ومنطق الاغريق، ويمكن تصنيفه في الزمر التالية التي تبرز بعضاً من ملامحه .

يمكن تصنف الفكر العربي إلى الزمر التالية :

1-الفكر الديني : الكلام والتصوف، هذا للتجربة الروحية والأول للدفاع عن الإيمان وقد أثار علم الكلام عددا من المشكلات الإنسانية الكبرى منها الجهر والحرية، وقد كانت موضوع الخلاف الأساسي بين المعتزلة والأشاعرة.

2-الفكر الفلسفي : ومن أعلامه الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد وقد تناول مشكلات الفلسفة الكلاسيكية الاغريقية من منطلق عربي إسلامي ومنها مشكلة الخلق وجواز الموجودات والنفس وغيرها.

3-الفكر العلمي: اللغة والفقه والرياضيات والفيزياء والتاريخ والطب والاقتصاد وقد كان أسهام العرب كبيراً جداً في هذه الميادين، فالموسوعات الكبرى في اللغة(المعاجم بخاصة) والتاريخ (الطبري والمسعودي) والجغرافيا (ابن بطوطة) انجازات عربية، وكذلك اختراع الجبر (الخوارزمي) وعلم الطب التجريبي (ابن سينا وابن النفس) وعلم الضوء (ابن الهيثم) الخ..

4-الفكر الاجتماعي : (الفلسفة الاجتماعية) الذي بدأ مع ابن المقفع واخذ شكله الأكمل عند ابن خلدون ويعالج مشكلات البيئة والسكان، الأمة والدولة سوسيولوجيا الأدب وغيرها .

وابن خلدون،إذ يركز بحوثه حول علم العمران يبرز المشكلة الأساسية التي عانى منها المجتمع العربي، وما يزال الا وهي مشكلة الانتقال من البداوة إلى الحضر مما يدل على استمرار الجاهلية في صميم العقلية العربية فالعصبية ،

(أن يفزع الإنسان لاهله وذويه) التي هي اساس الدولة، فكرة جاهلية خالصة.

5-الفكر الثوري: واقصد به ذلك الذي يعيد النظر في تنظيم الجماعة من الاساس ويتبدي بشكل خاص لدى الفرق التي نشأت بعيد الإسلام عند قيام الدولة القومية مع الأمويين (مثلاً الخوارج وبعد ذلك القرامطة وغيرها) . وتكاثرت بحيث أن تعدادها هو مراجعة لتاريخ العرب السياسي منه بخاصة، بأكمله.

فاذا ما توقفنا في تصنيفنا التقريبي عند هذا الجانب الهام نلاحظ أن الفكر العربي أبان الفته أي خلال النمو والصعود ومن جهة قد تميز بخاصتين متعارضتين ومتكاملتين : الأولى هي قدرته على التجريد و التعقيل من جهة ومن جهة أخرى على مراجعة ذاته جذرياً في منجزاته حتى كأن الحياة العربية ثورة مستمرة على كل ما هو قائم .

هاتان الخاصتان تحيلان إلى أخريين متكاملتين أيضاً هما سعه الرؤيا العربية وشمولها بحيث تحيط بكل مشكلات الإنسان من جهة ومن جهة أخرى مرونة هذه الرؤيا، مرونة مكنت أجدادنا من تمثل الثقافات التي تفاعلوا معها واستيعابها أي تعريبها.

ان العربي، الذي خرج من الصحراء إنساناً فطرياً تمكن خلال قرنين لا من السيطرة على امبراطورية واسعة ومتباعدة الأطراف وحسب، لا من إدارة هذه الامبراطورية وحسب، بل أيضاً من الاحاطة بكل المشكلات الإنسانية كما كانت مطروحة إذا ذاك في العالم المتحضر ومن استعادتها عربياً. فقد أنشأ بيروقراطية قادرة على إدارة وتنظيم المملكة، وتشريعاً ناظماً لها وقضاء لا حقاق العدل فيها وجيشاً بوسعه أن يحمي حدودها وضبط الأمن في داخلها.

6-الفكر القومي والسياسي: كانت الامة بالنسبة للعربي، حقيقة أولى لا نقاش في أمرها،فلم تطرح على بساط البحث الا عندما اختلط العرب بالشعوب الاخرى كالفرس، و الروم، و الاتراك عندما ظهرت النزعة المعروفة بالشعوبية، أي المقارنة بين عقليات الشعوب، وتفضيل أحداها على الاخرى وللعرب في هذا المجال نظرات ثاقبة لم تدرس بعد نجد بعضاً منها ومن اوائلها لدى الجاحظ .

كما أن مسألة " الدولة اثيرت عند المتكلمين وفي الفقه من حيث حقوق الرعية وحقوق السلطان، شرعية الحكم، حرية الفرد / ومركزية الدولة / الدولة المثلى المدينة الفاضلة للفارابي " الخ ...

ذلك أنه إذا كانت الأمة أمراً مسلماً به/فالدولة ليست كذلك / انها تتبدل باستمرار وعندما يقيس ابن خلدون بالاستناد إلى استقرائه للتاريخ العربي، عمرها يجد أنه لا يتجاوز الاجيال الثلاثة ، أي /120/ مائة وعشرين سنة .

أخلص مما تقدم إلى ان المشكلات التي تعثر فيها الفكر العربي ثلاثة:

أولاً : على الصعيد الاجتماعي : الانتقال من البداوة إلى الحضر.

ثانياً : على الصعيد السياسي : الدولة : إن الفكر العربي ينتقل من الأمة إلى الدولة

فلا يعثر على هذه بعكس الفكر الاغريقي – الغربي الذي ينتقل من الدولة إلى الأمة فتفوته هذه.

ثالثاً : على الصعيد النظري : الحرية والجبر وهذه مشكلة دينية فلسفية لا مجال

لمعالجتها هنا. المعتزلة، والاشاعرة

ب- **<u>الفكر الحديث</u>** : " محمد علي 1805- 1848"

بدأ الفكر العربي يستيقظ من سباته الطويل (خمسة قرون تقريباً) مع الغزو البونابرتي لمصر في أوائل القرن التاسع عشر، وبدت طلائعه في أواسط القرن ذاته عندما استقل محمد علي باشا بالقطر المصري عن السلطة العثمانية وأخذ ينظم الدولة على اسس حديثة فيشجع التعليم والبعثات العلمية كما أخذ يشجع التجارة والصناعة,

وانبثقت اليقظة بعدها من مصر حيث بدأت الثورة على الاحتلال الانكليزي مع عرابي باشا وانتقلت إلى المشرق العربي مع بدء الثورة على الحكم العثماني في أوائل القرن العشرين وعلى الاحتلال الفرنسي والانكليزي بين الحربين العالميتين، كما انتقلت إلى المغرب العربي بعيد الحرب العالمية الثانية مع الثورة على الاحتلال الفرنسي والاسباني وها هي اليوم تنتقل إلى الجنوب العربي حيث التمرد على الاستعمار والرجعية . ثم انتقلت إلى فلسطين ويمر الفكر العربي، خلال يقظته هذه بثلاث مراحل متواجدة من الأصل هي : الليبرالية المنبثقة عن الثورة الفرنسية